أطفالنا وشبابنا في ظلّ التربية الإسلامية

مركز آل البيت (عليهم السلام) العالمي للمعلومات

المقدّمة
(الباب الأول) أطفالنا في ظِل التربية الإسلامية
(الفصل الأول) أهمية التربية في الإسلام
التعريف اللغوي للتربية
تعريف التربية الإسلامية
أهميَّة التربية الإسلامية
(الفصل الثاني) تأثير البيئة والمحيط على تربية الأطفال
١ـ المحيط الطبيعي
٢- البيئة الاجتماعية
أ ـ الأسرة
ب ـ المجتمع
ج ـ المدرسة
١ ـ المعلم
٢ ـ المنهج الدراسي
٣ ـ المحيط الطلاّبي
٤- النظام المدرسي ومظهره العام
د ـ الدولة
مسك الختام
(الباب الثاني) شبابنا في ضل التربية الإسلامية
(الفصل الأول) التربية الدينيّة والقرآنيّة
(الفصل الثاني) التربية النفسيّة والسلوكيّة
(الفصل الثالث) التربية العقليّة والعلميّة
(الفصل الرابع) التربية الاجتماعيّة والخلقيّة
(الفصل الخامس) التربية الجنسيّة
(الفصل السادس) التربية البدنيّة والجسمانيّة
(الفصل السابع) التربية الذوقيّة والجماليّة
(الفصل الثامن) التربية الوطنيّة والقياديّة

المقدّمة

الحمدُ لله على توفيقِهِ ، والصلاةُ والسلام على رسوله ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين .

حرصَتِ الشريعةُ الإسلامية الحقَّةُ على تربية الأطفال والشباب ، واهتَمَّت ببِناء شخصياتهم بناءاً سليماً ، مُحَصِّنة إيَّاهُم من شتَّى أنماط الانحرافات وأنواع العُقد ، والأمراض النفسية الخطيرة والعادات السيئة والقبيحة .

وعلى أساس من مبادئها السامية وقِيَمِها الصالحة ، فإن بناءَ شخصيَّةِ الطفل والشاب في الإسلام ماهو – في الحقيقة – إلا عَمَليَّةً لبناء المجتمع الإسلامي ، وتمهيداً لإقامة الحياة الطيبة ، وفقاً للمبادئ الإسلامية المباركة ، وذلك تحقيقاً لسعادة الإنسان ، وتحصيناً لمُقَوِّماتِ المجتمع ، وحفظاً لسلامة البشرية وخيرها.

وإن نجاح الأهداف الإسلاميّة ، وسعادة الفرد ، وسلامة المجتمع ، تتوقّف على سلامة عمليّة التربية .

وهذا مما يدعونا إلى تكريس جانب كبير من جهودنا واهتماماتنا لتربية الأطفال والشباب وإعدادهم إعداداً سليماً ، ليكونوا أفراداً صالحين وأعضاءاً نافعين ومنسجمين مع نُظُمِ الحياة الإسلامية السائدة في مجتمع الإيمان بالله عزَّ وجلَّ .

وقد توخينا من إعداد هذا البحث وطبعه لنكون قد ساهمنا في تربية أطفالنا وشبابنا التربية الإسلامية الصالحة التي يرضاها الله عزَّ وجلَّ ورسوله والأئمة المعصومون الإثنا عشر (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) ، ومنه تعالى نستمد العون والسداد .

مركز آل البيت (عليهم السلام) العالمي للمعلومات

(الباب الأول)
أطفالنا في ظِل التربية الإسلامية

(الفصل الأول)
أهمية التربية في الإسلام

التعريف اللغوي للتربية :

لقد عَرَّف اللُغَويُّون وأصحاب المعاجم لفظة التربية بأنها : (إنشاءُ الشيءِ حالاً فحالاً إلى حَدِّ التمام)

و (ربُّ الولدِ ربّاً : وليُّه وتَعَهُّدُهُ بما يُغذِّيه ويُنمِّيه ويُؤدِّبه...) .

تعريف التربية الإسلامية :

من هذا المنطق يمكننا تعريف التربية الإسلامية بأنها : عملية بناء الإنسان وتوجيهه ، لتكوين شخصيَّتِهِ ، وفقاً لمنهج الإسلام الحنيف وأهدافه السامية في الحياة .

فالتربية إذن تعني تنشئة الشخصيّة وتنميتها حتى تكتمل وتتخذ سماتَها المميِّزة لها .

أهميَّة التربية الإسلامية :

من الأمور المُسلَّم بها أن الإنسان يولد صفحة بيضاء ، غير مُتَّسِم بملامح أي اتجاه أو سلوك أو تشكيلة ، إلا أنه يحمل الاستعداد التام لِتَلَقِّي مختلف العلوم والمعارف ، وتكوين الشخصيَّة والانخراط ضِمن خطٍّ سلوكيٍّ معيَّنٍ .

لذا فإن القرآن الكريم يخاطب الإنسان ويذكره بهذه الحقيقة الثابتة ، وبنعمة الاستعداد والاكتساب والتعلُّم ، التي أودعها الله عزَّ وجلَّ فيه لكسب العلم والمعرفة ، والاسترشاد بالهداية الإلهيَّة .

فقال عزَّ وجلَّ : وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [النحل : ٧٨] .

ويذكر الإمام عليّ (عليه السلام) هذه الحقيقة أيضاً بقوله : (... وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ، ما ألقي فيها من شيء قبلته) .

وقد شرح العلاّمة الحلّي (رضوان الله عليه) مراحل تكوّن المعرفة لدى الطفل ، فقال : (إعلم أنّ الله خلق النفس الإنسانيّة في بداية فطرتها ، خالية من جميع العلوم بالضرورة ، قابلة لها بالضرورة ، وذلك مشاهد في حال الأطفال ، ثمّ إنّ الله تعالى خلق للنفس آلات بها يحصل الإدراك ، وهي القوى الحسّاسة ، فيحسّ الطفل في أوّل ولادته لمس ما يدركه من الملموسات ، ويميّز بواسطة الإدراك البصري على سبيل التدرّج بين أبويه وغيرهما) .

وبهذا الترتيب يتوجه الإنسان في تلقيه للمعرفة إلى استخدام أحاسيسه ، فهو يتعرّف على ثدي أمّه ، نظراً لعلاقته الحياتية به وحاجته إليه في التغذي ، ثمّ يتعرّف على أمّه قبل غيرها ممّن يحيطون به .

ثمّ إنّ هذا الطفل يزداد فطنة وذكاء ، فينتقل من إحساسه بالأمور الجزئية إلى معرفة الأمور الكليّة ، مثل التوافق والتباين والأنداد والأضداد ، فيعقل الأمور الكليّة الضروريّة بواسطة إدراك المحسوسات الجزئيّة .

ثمّ إذا استكمل الاستدلال عنده ، فإنه يتمكن حينئذ من إدراك العلوم الكسبية بواسطة العلوم الضروريّة .

فظهرمن هذا أن العلوم المكتسبة فرع على العلوم الكلّية الضروريّة ، والعلوم الكلّية الضروريّة فرع على المحسوسات الجزئيّة .

فلهذا ، يتعيّن على الأبوين في ظلّ التعاليم الإسلاميّة أن يبادروا إلى تربية أطفالهم وتعليمهم منذ نشأتهم الأولى .

ومن جهة أخرى ، فإنّ الطفل ــ كإنسان ــ وهبه الله عزَّ وجلَّ العقل والذكاء ، وخلق فيه موهبة التعلّم والاكتساب و التلقي .

فهو منذ أن يفتح عينيه على هذه الدنيا يبدأ عن طريق أحاسيسه بالتعلّم واكتساب السلوك والآداب والأخلاق ، ومختلف العادات ، وكيفيّة التعامل مع الآخرين .

فنجد أنّ الأجواء المحيطة بالأسرة وطريقة تعاملها ونمط تفكيرها ، كلّ ذلك يؤثر تأثيراً مباشراً وعميقاً في تكوين شخصيّة الطفل ، وبلورة الاتجاه الذي سوف يتخذه في المستقبل .

فإن كانت تلك العائلة سليمة ومؤمنة ومستقيمة وملتزمة بتعاليم الإسلام السامية ، فإن ذلك سوف يساعد الطفل على أن يكون فرداً صالحاً وإنساناً طيّباً وسعيداً .

وإن كانت تلك الأسرة من العوائل المتحلّلة المنحطة ، فإن ذلك سوف يوفر الأرضية إلى انحطاط شخصية ذلك الطفل وخروجه إلى المجتمع فرداً فاسداً مجرماً شقيّاً .

فلذا جاء في الحديث النبويّ الشريف : (ما من مولود يولد إلاّ على هذه الفطرة ، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه) .

وقد أثبتت التجارب والدراسات العلميّة التي أجراها الباحثون والمحقّقون في مجال البحوث التربويّة والنفسيّة ، أن للتربية أثراً كبيراً ومباشراً في تكوين شخصيّة الفرد وبلورة أهدافه وميوله ورغباته في الحياة .

وقد تطابقت هذه البحوث والتحقيقات مع قواعد الرسالة الإسلاميّة المباركة وقوانينها التربويّة العلميّة ، فغدت تأييداً ومصداقاً للتعاليم الإسلاميّة الحقّة في مجال التربية والتعليم .

فتقول معظم الدراسات التي أجريت في هذا المجال بأنّ شخصية الطفل تتحد في سِنِي عمره الأولى ، وفي هذه الفترة تنمو مواهبه الفرديّة ، وتتكوّن لديه ردود فعل على الظواهر الخارجيّة ، عن طريق احتكاكه بالمحيط الذي يترعرع فيه .

وتكتمل هذه الردود وتأخذ قالبها الثابت في حينه : (من شبّ على شيء شاب عليه) .

وفي الحقيقة أنّ للقيم السائدة في العائلة التي يعيش الطفل فيها ــ سواء كانت إيجابيّة أم سلبيّة ــ دوراً خطيراً ومؤثراً في تأطير طريقة تعامله مع الآخرين .

وقد أثبتت الأبحاث التربويّة أيضاً أنّ للأجواء المحيطة بالطفل التأثير المباشر في تكوين نظرته إلى نفسه في هذه الحياة .

فإنه إن لمس الرعاية والمحبّة والعاطفة السليمة والحنان والاهتمام والتقدير والتشجيع والمكافأة بين أفراد أسرته ، تشرق صورته في نفسه و تطيّبها ، وتنمي قدراته ومواهبه وإبداعاته وابتكاراته ، وتجعله يشعر بإشراقة مضيئة تشعّ من ذات شخصيّته فتؤهّله للقيام بدور فعّال في حياته العائليّة ، ومن ثمّ المدرسية والمهنيّة فالاجتماعيّة .

وقد أثبتت هذه الدراسات و التجارب أن ٥٠ % من ذكاء الأولاد البالغين السابعة عشرة من العمر يتكوّن بين فترة الجنين وسنّه الرابعة .

وأنّ ٥٠ % من المكتسبات العلميّة لدى البالغين من العمر ثمانية عشر عاماً تتكوّن ابتداءً من سنّ التاسعــة .

وأنّ ٣٣ % من استعدادات الولد الذهنيّة والسلوكيّة والإقداميّة والعاطفيّة يمكن معرفتها في السن الثانية من عمره ، وتتوضح أكثر في السنّ الخامسة بنسبة ٥٠ % .

وتضيف دراسة أخرى بأن نوعيّة اللغة التي يخاطب الأهل أولادهم بها تؤثر إلى حدّ كبير في فهم هؤلاء وتمييزهم لمعاني الثواب والعقاب ، وللقيم السلوكيّة ولمفاهيمها ، ودورهم في البيت والمجتمع .

فلهذا ، نجد أن الإسلام العظيم أبدى عنايته الفائقة بالطفل منذ لحظات ولادته الأولى .

فدعا إلى تلقينه الشهادتين ، لكي تُبنى شخصيّته وفق الأسس الدينية ، والتعامل الصحيح ، ولكي تترسخ القواعد الفكريّة الصحيحة في عقله ونفسه .

فقد روي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عن جدّه الرسول (صلى الله عليه وآله) أنه قال : (من وُلد له مولود فليؤذن في أذنه اليمنى بأذان الصلاة ، وليقم في أذنه اليسرى ، فإن إقامتها عصمة من الشيطان الرجيم) .

ولعلّ أكثر الأدلة صراحة في على تحديد مسؤوليّة الوالدين في مسألة تربية أولادهم، وأهميّة التربية في الإسلام هو قوله عزَّ وجلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ... [التحريم : ٦] .

(الفصل الثاني)

تأثير البيئة والمحيط على تربية الأطفال

إن البيئة التي يعيش فيها الطفل لها تأثير عميق وفعّال في حياته وتكوّن شخصيّته ، فالإنسان منذ نعومة أظفاره يتأثر وينفعل بما يجري حوله من ممارسات .

فإنه يكتسب مزاجه وأخلاقه وممارساته و طريقة تفكيره من المحيط أو البيئة التي يعيش فيها .

وقد تبيّن أنّ للوالدين ، ولسلوك العائلة ، ووضعيّة الطفل في العائلة ، دوراً كبيراً في تحديد شخصيّته وصقلها وبلورتها وتحديد معالمها .

كما أن للمعلّم ، والأصدقاء ، والمجتمع ووسائله الإعلاميّة ، وعاداته ، وأسلوب حياته ، الأثر المباشر والكبير على سلوك الطفل وكيفيّة تفكيره .

إلاّ أنّنا نلاحظ ــ انطلاقاً من فلسفة الإسلام العامّة والتربويّة خاصّة ــ أنْ ليس لعالم الطفل الخارجي بمختلف مصادره ومع شدّة تأثيره القدرة كلّيّاً وبصورة قاطعة و إلى الأبد في تحديد معالم شخصيّة الإنسان ، وتأطير مواقفه ، بل لإرادة الإنسان الذاتيّة القويّة دور فعّال في تحديد سلوكه ومعتقداته وممارساته .

لأنّ الإنسان في ظلّ الاعتقاد بالتعاليم الإسلاميّة الحقّة ، ويتعرف على ما فيه الخير والصلاح والسعادة له ولغيره ، فيعمل به .

وكذلك يتعرف على ما فيه الشرّ والفساد والشقاء له ولغيره ، فيتجنب عنه ، وبهذا يحصل على العقلية الواعية التي يتمكن بها من توجيه سلوكه والوقوف بوجه جميع التيارات السلبية المضادة التي تحاول أن تجرفه معها .

من هنا جاء التأكيد في التربية الإسلاميّة على القيم والأخلاق والمبادئ ، كحقائق مستقلّة متعالية على تأثيرات الواقع ، ليتمكن الإنسان بها أن يصون نفسه من الآثار السلبية خلال تواجده في البيئة المنحرفة من الآثار السلبية .

فبالإرادة الذاتيّة المحصّنة من تأثيرات المحيط ، والثابتة على القيم والمبادئ السامية على واقع العالم المحيط بالإنسان ــ يتمكن الإنسان من الوقوف بوجه الواقع المنحرف .

وهذا التقويم الواقعي السليم لمنطق التأريخ ، الذي يعطي الإنسان قيمته الحقيقيّة في هذا العالم الرحب ، ويضعه في محلّه المناسب له ، هو بعينه تقويم التشريع الإسلاميّ للإنسان .

والذي قد جاء صريحاً في القرآن الكريم : بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ [القيامة : ١٥] .

كما يقول الرسول (صلّى الله عليه وآله) : (لا تكن إمّعة تقول أنا مع الناس ، إن أحسنوا أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، بل وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم) .

١ــ المحيط الطبيعي :

إن القاعدة الأساسيّة في تربية الطفل تتوقف على أساس من الاهتمام بالطبيعة ، والعمل على إبعاد المخاوف عنه ، وتوجيهه إلى مواطن السرور والأمان والطمأنينة في هذا العالم لصيانته من الحالات النفسيّة التي تؤلمه وتضرّ به .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ينبغي ترغيب الطفل في التوجه نحو الطبيعة ، وتشجيعه على استلهام أسمى معاني الحبّ والبهجة والجمال والأمن منها ، وتشويقه على البحث والمعرفة والاكتشاف .

وقد قال عزَّ وجلَّ : أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ [الأعراف : ١٨٥] .

ومن الواضح أنّ الطفل يتأثر بالمحيط وينفعل به ، فيتساءل كثيراً عمّا يراه و يسمعه في هذا العالم ممّا يثير إعجابه و دهشته ، ويلفت نظره .

فصوت الرعد ووهج البرق ونباح الكلب ودويّ الريح وسعة البحر ووحشة الظلام ، كلّها تثير مخاوفه ، وتبعث في نفسه القلق والاضطراب والخوف ، وتجعله ينظر إليها بحذر وتردّد ، ويعدّها في عداد العدوّ والخطر .

فيتطوّر عنده هذا الشعور ، و يأخذ أشكالاً مختلفة ، وتتطوّر هذه التحوّلات مع نموّ الطفل .

فتترسّب حالات الخوف في نفسه ، وتنمو شخصيّته على القلق والتردّد والاضطراب والخوف والجبن .

وكما أنّ لهذه الظواهر الطبيعيّة وأمثالها ، هذا الأثر السلبيّ في نفسيّة الطفل ، فإنّ منها ماله التأثير الإيجابي والنافع في نفسه ، فنجده يفرح ويسرّ بمنظر الماء والمطر ، وتمتلئ نفسه سروراً وارتياحاً بمشاهدة الحقول والحدائق الجميلة ، ويأنس بسماع صوت الطيور ، وترتاح نفسه حين اللعب بالماء والتراب والطين .

فيجب في كلتا الحالتين التعامل معه ، وتدريبه على مواجهة ما يخاف منه ، وإعادة الثقة في نفسه منحه الصورة الحقيقية عن الحياة .

وممّا هو مهمّ جدّاً في دور التربية هو أن نجيب الطفل ــ بكل هدوء وبساطة وارتياح وحبّ ورحابة صدر ــ عن جميع تساؤلاته حول المطر و الشمس والقمر والنجوم والبحر والظلام وصوت الرعد و... بما يرضيه و يريح نفسه .

فننمّي بذلك روح الإقدام فيه وحبّ الاستطلاع ، وحبّ الطبيعة وما فيها من خلق الله عزَّ وجلَّ البديع العجيب .. لينشدّ إليها ، ويعرف موقعه فيها ، و يدرك عظمة خالقه ، ومواطن القدرة والإبداع ، ودوره فيها .

فينشأ فرداً سليماً نافعاً ذا إرادة تجنّبه الانحراف وفعل الشرّ ، وذا عزيمة على الإقدام على فعل الخير .

ويتركّز في نفسه مفهوم علميّ وعقائديّ مهم بأنّ الطبيعة بما فيها هي من صنع الله عزَّ وجلَّ وإنّ الله قد سخّرها لخدمة الإنسان ، ليتصرّف فيها ويستفيد منها ، ويكيّف طاقاته ويستغلّها بما ينفعه وينفع الناس .

وقد قال جلّ وعلا : هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً [البقرة : ٢٩] .

وقال أيضاً : هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ [الملك : ١٥] .

وهذا التسخير الإلهيّ ما هو إلاّ تمكين للإنسان من تكييف قوى الطبيعة واستثمارها لصالحه وفق ما تقتضيه المفاهيم الإنسانيّة التي عالجها من خلال علاقته بالطبيعة ، مثل مفاهيم الحبّ والخير والجمال والأمن والسلام والاحترام ، وغيرها .

٢ – البيئة الاجتماعية :

إنّ للوسط الاجتماعي الذي يعيش الطفل فيه تأثيراً كبيراً في بلورةسلوكه وبناء شخصيّته ، لأنه سرعان ما يتطبّع بطابع ذلك الوسط ، ويكتسب صفاته ومقوّماته من عقائد وأعراف وتقاليد ونمط تفكير ، وما إلى ذلك .

والبيئة أو الوسط الاجتماعيّ الذي يعيش فيه الطفل يتمثل بما يلي :

أ ــ الأسرة :

هي المحيط الاجتماعيّ الأول الذي يفتح الطفل فيه عينيه على الحياة ، فينمو ويترعرع في وسطه ، ويتأثّر بأخلاقه وسلوكيّاته ، ويكتسب من صفاته وعاداته و تقاليده .

فالطفل يرى في أبويه ــ وخصوصاً والده ــ الصورة المثاليّة لكّل شيء ، ولذا تكون علاقته معه علاقة تقدير وإعجاب وحبّ واحترام من جهة .

ومن جهة أخرى علاقة مهابة وتصاغر ، ولذا فهو يسعى دائماً إلى الاكتساب منه ، وتقمّص شخصيّته ، ومحاكاته وتقليده ، والمحافظة على كسب رضاه .

في حين يرى في الأمّ مصدراً لتلبية ما يفتقر إليه من حبّ وعطف وحنان وعناية ورعاية واهتمام ، لهذا فإن شخصيّة الأم تؤثر تأثيراً بالغاً في نفسية الطفل وسلوكه حاضراً ومستقبلاً .

لذا فإنّ لأوضاع الأسرة وظروفها الاجتماعيّة والعقائديّة والأخلاقيّة والسلوكيّة والاقتصادية وغيرها ، طابعها وآثارها الأساسيّة في تكوين شخصيّة الطفل ونموّ ذاته .

فالطفل يتأثر بكل ذلك ، وينعكس هذا على تفكيره وعواطفه ومشاعره وإحساساته ووجدانه وسلوكه ، وجميع تصرّفاته .

فعلاقة الوالدين مع بعضهما ، وكيفيّة تعامل أفراد الأسرة ، من إخوة وأقارب فيما بينهم ، توحي إلى الطفل بنوعيّة السلوك الذي يسلكه في الحاضر والمستقبل .

فهو حينما يرى أن هذه العلاقة قائمة على الودّ والعطف والحنان والتقدير والاحترام والتعاون ، فإنه يألف هذا السلوك ، ويتأثر به .

فتكون علاقته بوالديه وإخوته وبقيّة أفراد أسرته والآخرين قائمة على هذا المنحى ، وعندما يخرج إلى المجتمع فهو يبقى في تعامله معه على هذا الأساس أيضاً .

أمّا إذا كان الطفل يعيش في وسط أسرة متفكّكة منهارة ، تقوم علاقاتها على الشجار والخلاف وعدم الاحترام والتعاون ، فإنّه يبني علاقته بالآخرين على هذا الأساس .

فينشأ معانياً من الجفوة والقسوة والانحلال والتفكّك وعدم الانسجام ، ويتكوّن لديه الشعور بالنقص ، وربّما ينشأ مريضاً نفسيّاً وانتقاميّا حقوداً على الجميع ، وكم يذكر لنا التاريخ من هذا النمط الذين كانوا وبالاً على المجتمعات .

وفي الوقت الحاضر لا يخلو العالم من هذه النماذج الحقودة على الإنسانيّة ، الخطرة على مجتمعها ، ممّن يندى جبين العفّة والشرف عند الاطلاع على ماضيهم الدنيء وحاضرهم القبيح .

والإسلام الحنيف يولي أهميّة فائقة للطفل ، ويركّز على تربيته التربية الصالحة المفيدة .

فقد ورد عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : (أحبّوا الصبيان وارحموهم) .

وقال (صلّى الله عليه وآله) أيضاً ليهوديّ : (أمّا لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان) .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) عن النبي (صلّى الله عليه وآله) : (من قبّل ولده كتب الله عزَّ وجلَّ له حسنة ، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة) .

ب ــ المجتمع :

هو المحيط الثاني الذي يتلّقى الطفل ويحتضنه بعد أبويه وأسرته ، ويغرس فيه ماهيّته ، وينقل إليه عاداته ومفاهيمه وسلوكه .

وفي المجتمع يجتمع كل ما يحمله وينتجه الأفراد المعاصرون من أفكار وعادات وتقاليد وأخلاق وسلوكيّات وتصرّفات .

كما أنّه يعتبر الوارث الطبيعيّ للأسلاف والأجيال الماضية ، وهو الذي ينقل إلى الجيل الحاضر ما كان عليه آباؤه وأجداده من حالات وأوضاع .

لذا فإن للبيئة الاجتماعيّة دوراً كبيراً في قولبة شخصيّة الطفل وسلوكه .

والفرد المسلم في المجتمع الإسلاميّ يبحث دائماً عن البيئة الصالحة والمناسبة لنموّه ونشأته واستقامة شخصيّته ، ليوفر بذلك لنفسه وعائلته الأجواء والظروف اللازمة لنموّ شخصيته الإسلاميّة اجتماعيّاً نموّاً صالحاً سليماً .

فالصديق الذي يرافقه الطفل ويلعب معه يؤثر فيه ، وينقل إليه الكثير من أنماط السلوك ، ومعاملة الضيوف والأقارب وغيرهم .

وأما الاختلاط بهم ، والذهاب إلى المراكز العامة كالملاعب والنوادي والجمعيّات والمسارح ودور السينما ، والحدائق والمتنزّهات وسائر الأماكن العامّة .

أو المظاهر العامّة كالأعياد والمناسبات المختلفة ، التي يعيشها الطفل ويتعامل معها ، أو يرتادها .

فكلّ ذلك يزرع في نفسه مفهوماً خاصّاً ، ويوجّهه توجيهاً معيّناً ، وكذلك القصص والحكايات الشعبية والأمثال والنكت هي أيضاً تترك آثارها على شخصيّة الطفل وسلوكه وأخلاقه .

والتربية الإسلاميّة تعتمد على المحيط الاجتماعي في التوجيه والإعداد ، وتهتمّ بإصلاح الطفل وتوجيهه توجيهاً صحيحاً سليماً .

والجديد بالذكر أنّ الانسجام التامّ وعدم التناقض بين حياة البيت والمدرسة والمجتمع يعتبر أمراً مهمّا وخطيراً جدّاً في العمليّة التربويّة ، لأن له أثره المهمّ والفعّال في سلامة الطفل من الصراع النفسيّ والتشتت وانقسام الشخصيّة وانفصامها .

والمجتمع الإسلاميّ الذي يؤمن بالإسلام فكراً وعملاً وسلوكاً ، ينسجم تماماً مع الأسرة والمدرسة ، ويلقى الطفل فيه الحياة المتّزنة المستقرّة المنسجمة الهادئة المريحة .

كما أنّ الطفل أينما يولّي وجهه في البيت أو المدرسة أو المجتمع ، فإنّه يجد الأمّ والأصدقاء والمؤسّسة والمظهر الاجتماعيّ العامّ ، ووسيلة الإعلام وحياة الناس العامّة وسياسة الدولة ، كلّها تسير على قاعدة فكريّة وسلوكيّة واحدة ، ساعية إلى الخير والإصلاح والعزة والكرامة ، وتعمل بانسجام تامّ ، وتتعاون بشكل دقيق ومتقن ومنسّق ، على أسس فلسفة حياتية وفكريّة واحدة ، من أجل بناء الفرد الصالح النافع ، والمجتمع السليم القويم .

ج ــ المدرسة :

والمدرسة هي الحاضنة الأخرى للطفل ، ولها التأثير الكبير والمباشر في تكوين شخصيّته ، وصياغة فكره ، وبلورة معالم سلوكه ، وفي المدرسة تشترك عناصر أربعة أساسيّة في التأثير على شخصيّة الطفل وسلوكه ، وهي :

١ ــ المعلم :

إنّ الطفل يرى المعلّم مثالاً سامياً وقدوة حسنة ، وينظر إليه باهتمام كبير واحترام وفير ، وينزله مكانة عالية في نفسه ، وهو دائماً يحاكيه ويقتدي به ، وينفعل ويتأثر بشخصيّته .

فكلمات المعلم وثقافته وسلوكه ومظهره ومعاملته للطلاب ، بل وجميع حركاته وسكناته ، تترك أثرها الفعّال على نفسيّة الطفل ، فتظهر في حياته وتلازمه .

وإنّ شخصيّة المعلّم تترك بصماتها وطابعها على شخصيّة الطفل عبر المؤثرات التالية :

أ ــ الطفل يكتسب من معلّمه عن طريق التقليد والإيحاء الذي يترك غالباً أثره في نفسه ، دون أن يشعر الطفل بذلك .

ب ــ اكتشاف مواهب الطفل وتنميتها وتوجيهها وترشيدها .

ج ــ مراقبة سلوك الطفل وتصحيحه وتقويمه ، وبذا تتعاظم مسؤوليّة المربّي ، ويتعاظم دوره التربويّ في التربية الإسلاميّة .

٢ ــ المنهج الدراسي :

وهو مجموعة من المبادئ التربويّة والعلميّة ، والخطط التي تساعدنا على تنمية مواهب الطفل وصقلها ، وإعداده إعداداً صالحاً للحياة .

ولكي يكون المنهج الدراسيّ سليماً وتربويّاً صالحاً ، فينبغي له أن يعالج ثلاثة أمور أساسية مهمّة في عمليّة التربية ، و يتحمّل مسؤوليّته تجاهها .

وهي :

أ ــ الجانب التربوي : إنّ العنصر الأساس في وضع المنهج الدراسيّ في مراحله الأولى خاصّة ، هو العنصر التربويّ الهادف .

فالمنهج الدراسيّ هو المسؤول عن غرس القيم الجليلة والأخلاق النبيلة في ذهن الطفل وفي نفسيّته ، وهو الذي ينبغي أن يعوّد الطفل على الحياة الاجتماعيّة السليمة ، والسلوك السامي ، كالصدق والصبر والحبّ والتعاون والشجاعة والنظافة والأناقة ، وطاعة الوالدين والمعلّم ، وإلخ .

وهذا الجانب التربوي هو المسؤول عن تصحيح أخطاء البيئة الاجتماعيّة وانحرافاتها ، كالعادات السيّئة والخرافات والتقاليد البالية .

ب ــ الجانب العلمي والثقافي : وهذا يشمل تدريس الطفل مبادئ العلوم والمعارف النافعة له ولمجتمعه ، سواء كانت الطبيعيّة منها أو الاجتماعيّة أو العلميّة أو الرياضيّة أو الأدبيّة أو اللغويّة أو الفنيّة وغيرها التي تؤهلّه لأن يتعلّم في المستقبل علوماً ومعارف أعقد مضموماً وأرقى مستوى .

ج ــ النشاط الجانبي : وهذا الجانب لايقلّ أهمية عن الجانبين السابقين ، إن لم نقل أكثر .

ويتمثل في تشجيع الطفل ، وتنمية مواهبه ، وتوسيع مداركه ، وصقل ملكاته الأدبيّة والعلميّة والفنيّة والجسميّة والعقليّة ، كالخطابة وكتابة النشرات المدرسيّة والرسم والنحت والتطريز والخياطة ، وسائر الأعمال الفنيّة الأخرى ، أوالرياضة والألعاب الكشفيّة والمشاركة في إقامة المخيّمات الطلابيّة والسفرات المدرسيّة ، بل ومختلف النشاطات الأخرى ، لدفعه إلى الابتكار والاختراع والاكتشاف والإبداع .

فإذا وضع المنهج الدراسي بهذه الطريقة الناجحة ، فإنه يستطيع أن يستوعب أهداف التربية الصالحة ، وأن يحقق أغراضها المنشودة في تنشئة الجيل الصالح المفيد .

٣ ــ المحيط الطلاّبي :

ونعني به الوسط الاجتماعيّ الذي تتلاقى فيه مختلف النفسيّات والحالات الخلقيّة ، والأوضاع الاجتماعيّة من الأعراف والتقاليد ، وأنماط متنوّعة من السلوك والمشاعر التي يحملها الطلاب معهم إلى المدرسة ، والتي اكتسبوها من بيئاتهم وأسرهم ، وحملوها بدورهم إلى زملائهم .

فنرى الأطفال يتبادلون ذلك عن طريق الاحتكاك والملازمة والاكتساب .

ومن الطبيعيّ أن الوسط الطلابيّ سيكون على هذا الأساس زاخراً بالمتناقضات من أنماط السلوك والمشاعر ــ سيّما لو كان المجتمع غير متجانس ــ فتجد منها المنحرف الضارّ ، ومنها المستقيم النافع .

لذا يكون لزاماً على المدرسة أن تهتمّ بمراقبة السلوك الطلابيّ ، وخصوصاً من يسلك منهم سلوكاً ضارا ، فتعمل على تقويمه وتصحيحه ، ومنع سريانه إلى الطلاّب الآخرين ، وتشجيع السلوك الاجتماعيّ النافع كتنمية روح التعاون والتدريب على احترام حقوق الآخرين .

٤- النظام المدرسي ومظهره العام :

حينما يشعر الطلبة في اليوم الأوّل من انخراطهم في المدرسة أنّ للمدرسة نظاماً خاصّاً ، يختلف عن الوضع الذي ألفوه في البيت ضمن أسرتهم ، فإنّهم – حينئذ – يشعرون بضرورة الالتزام بهذا النظام والتكيّف له .

فإذا كان نظام المدرسة قائماً على ركائز علميّة متقنة ، ومشيّداً على قواعد تربوية صحيحة ، فإنّ الطالب سيكتسب طباعاً جيّدة في مراعاة هذا النظام ، والعيش في كنفه .

فمثلاً لو كان الطالب المشاكس الذي يعتدي على زملائه ، والطالب الآخر المعتدى عليه ، كلاهما يشعران بأن نظام المدرسة سيتابع هذه المشكلة ، وأن هذا الطالب المعتدي سوف ينال عقابه وجزاءه .

فإنّ الطرفين سيفهمان حقيقة مهمّة في الحياة ، وهي أن القانون والسلطة والهيئة الاجتماعيّة يردعون المعتدي ، وينزلون به العقاب الذي يستحقّه ، وأن المعتدى عليه هو في حماية القانون والسلطة والهيئة الاجتماعيّة .

ولا ضرورة أن يكلّف نفسه في الردّ الشخصيّ وإحداث مشاكل يحاسب هو عليها .

إنّ هذه الممارسة المدرسيّة التربويّة تربّي في الطفل احترام القانون واستشعار العدل ومؤازرة الحقّ والإنصاف .

والنظام المدرسيّ الذي يتابع مشكلة التقصير في أداء الواجب ، والتغيّب عن الدرس والمدرسة ، ويحاول حل هذه المشكلة ، فإنّ الطالب في هذه المدرسة سيتعوّد ــ من

خلال ذلك ــ الضبط والمواظبة على الدوام والالتزام بالنظام وأداء الواجب والشعور بالمسؤوليّة .

وكما أنّ للنظام أثره في تكوين شخصيّة الطفل وتنمية مشاعره وصقل قدراته وتقويم مواقفه وقيمه ، فإنّ للحياة العامّة في المدرسة أيضاً أثرها الفعّال في هذه المجال .

د ــ الدولة :

بعد أن تطوّرت بنية الدولة ومهماتها ، وتعقّدت الحياة البشريّة بمختلف مجالاتها ، صارت علاقة الإنسان بالدولة علاقة حيويّة ، فما من مرفأ من مرافئ الحياة إلاّ وللدولة أثر أو علاقة أو مشاركة فيه ، مباشرة أو غير مباشرة .

ويظهر أثر الدولة بشكل أكثر وضوحاً في التربية والتعليم والثقافة العامّة ، فالدولة اليوم هي التي تتولّى مسؤوليّة التربية والتعليم والثقافة ، وتخطّط لها مركزيّاً ، وتنهض بإدارتها وقيادتها .

أي أنّ الدولة تتبنّى مسألة إقامة البناء الإنسانيّ ، وتصحيح البنية الشخصيّة وتقويمها ، وتنمية الفكر ، وكذلك طريقة إعداد الإنسان للحياة .

وعليها مسؤوليّة إعداد المنهج المدرسيّ ، ورسم السياسة التربويّة العامّة ، وتوجيه الثقافة عن طريق الإذاعة والتلفزيون ووسائل النشر وأساليب الدعاية التي تؤثر بواسطتها في إعداد الإنسان فكريّاً ونفسيّاً وسلوكيّاً .

وبتلك الوسائل والإمكانات تستطيع الدولة التأثير على هويّة الإنسان التربويّة ، وتحديد معالم شخصيّته .

وبما أنّ الدولة الإسلاميّة هي دولة عقائديّة فكريّة ، لها خطّ فكريّ متميّز المعالم ، وفلسفة حياتيّة مستقلّة .

لذا فهي مسؤولة عن توجيه التربية ، و التخطيط لكلّ عناصرها و أجهزتها المدرسيّة والإعلاميّة ، لتسير في الخطّ الإسلاميّ الملتزم .

فتمهّد الطريق للطفل في أن يشقّ طريقه إلى الحياة المستقبليّة الكريمة ، وتساعد الشباب على تحمّل مسؤوليّاتهم المقدّسة ، ليكون لهم الدور الفعّال في ترسيخ أسس الدولة الإسلاميّة واستمرارها وبقائها ، والمشاركة في أخذ يدها نحو الخير والصلاح والعزّة والكرامة .

مسك الختام :

إنّنا حين نتطرّق لهذه العوامل بالشرح والتبسيط ، إنما نريد بذلك إرساء حجر الأساس لما ألزَمَناه الامام عليّ (عليه السلام) في منهاجه التربويّ .

فنوفر الأرضيّة الصالحة لنشأة الجيل على مبادئه و معتقداته وآماله ، معتمدين في ذلك على الهدف الذي رسمه لنا ، لتحديد معالم التربية وأ طرها الفكريّة والعاطفيّة .

فهذا هو نصّ ما جاء بخطابه لولده الحسن (عليه السلام) ، حيث قال : (... فإنّي أوصيك بتقوى الله أي بُنيّ ، ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، وأيّ سبب أوثق من سبب بينك وبين الله ، إنْ أنت أخذت به ؟!) .

(الباب الثاني)

شبابنا في ظل التربية الإسلامية

إن مرحلة الشباب مرحلة خطيرة جدّاً في حياة الإنسان ، و هي مرحلة تتخلّلها فترة المراهقة الحسّاسة ، و إن الحديث عنها والبحوث حولها عديدة و مكثفة ، فلهذا ارتأينا تقسيم البحث في هذا الموضوع إلى عدة فصول بحيث يخص كلّ واحد منها جانباً من جوانب التربية .

(الفصل الأول)

التربية الدينيّة والقرآنيّة

إن الله تبارك وتعالى خلق عباده وأودع فيهم مواهب وقدرات ، وخلق لهم السماء والأرض والبحار ، وسخّر لهم ما فيها جميعاً ، وأغدق على الإنسان نعمه المستفيضة ، ممّا يوجب طاعته والشكر له وعبادته ، وهو سبحانه القائل :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ [النور : ٤١] .

وإن العبادة تتّخذ أشكالاً منوّعة ، يؤدّيها كل مخلوق حسب خلقته وقدرته وإدراكه ، كما يفهم ذلك من قوله تعالى في الآية المتقدّمة : كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ

والأفضل للمرء أن يتجه إلى ربّه في كل الأمور ، يسيرها وعسيرها ، فيعوّد نفسه منذ صغر سنّه على الصلاة وإقامتها في أوقاتها ، في السرّ والعلانية ، ليحصل على أكثر قدر ممكن من الثواب باكتساب فضيلتها .

وقد حبّب الله عزَّ وجلَّ للمصلّين أن يقيموها في أوقاتها الشرعيّة المخصّصة لها ، وبيّن الباري لهم فضل ذلك وأجره ، إذ قال عزّ من قائل : وَأَقِمِ الصَّلوةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ [هــود : ١١٤] .

وقال (صلّى الله عليه وآله) : (علّموا صبيانكم الصلاة ، وخذوهم بها إذا بلغوا الحلم) .

كما أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) كان يعوّد الصبيان والشباب على إقامة الصلاة في وقتها ، وذلك لكسب فضيلتها وأجرها ، إضافة إلى أجر الصلاة ذاتها .

وقد روى أنّه (عليه السلام) كان يأمر مَنْ عنده من الصبيان بأن يصلّوا الظهر والعصر في وقت واحد ، والمغرب والعشاء في وقت واحد ، فقيل له في ذلك ، فقال (عليه السلام) : (هو أخفّ عليهم ، وأجدر أن يسارعوا إليها ولا يضيّعوها ، ولا يناموا عنها ، ولا يشتغلوا) .

وكان لا يأخذهم بغير الصلاة المكتوبة (المفروضة غير المستحبّة) ، ويقول (عليه السلام) في هذه المجال : (إذا طاقوا الصلاة فلا تؤخّروها عن المكتوبة) .

أمّا في مسألة تلاوة القرآن الكريم وحفظه ، فقد ورد عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنه قال : (من قرأ القرآن وهو شابّ مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه ، وجعله الله عزَّ وجلَّ مع السفرة الكرام البررة) .

وينبغي أن نعي بأن الآباء لو ربّيا أبناء هم على ذكر الله عزَّ وجلّ ، وأداء الصلاة في أوقاتها ، والمواظبة على تلاوة القرآن الكريم ، فسيكون لهم عند الله جلّ وعلا أجراً عظيماً وثواباً كريماً .

وأن الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) قد حث الأبوين على تعليما أبنائهما المواظبة على تلاوة القرآن الكريم : (... ومن علّمه القرآن دعي بالأبوين فيُكسيان حلّتين ، يضيء من نورها وجوه أهل الجنّة) .

(الفصل الثاني)

التربية النفسيّة والسلوكيّة

يسعى الدين الإسلاميّ الحنيف إلى معالجة الأفراد معالجة نفسيّة ، وإعدادهم ليكونوا أعضاء صالحين نافعين في المجتمع الإسلاميّ .

وهو بذلك يرمي إلى غرس روح الثقة والاطمئنان والأمان والهدوء والراحة النفسيّة عند الإنسان ، خاصّة عندما يعده بالأجر والثواب والمغفرة وقبول التوبة والجنّة .

فعلى كل من الوالدين والأسرة والمعلّم والمجتمع والدولة والمتصدّين لعمليّة التربية ، أن يجتهدوا في زرع الثقة والطمأنينة في نفوس الأبناء .

فبذلك يتمكنوا أن يحررونهم من تأثيرات الخوف والاضطراب والقلق والشعور بالدناءة والضعة وكل ما يؤدّي إلى سحق شخصيّاتهم وانهيارهم ، النفسيّ ليخرجوا إلى المجتمع الإسلاميّ صحيحين سالمين وذو شخصيات قادرة على أداء دورها المسؤول والنافع بأفضل صورة ممكنة .

وتفيد بحوث وتجارب المحلّلين النفسانيّين والأطبّاء والعلماء وخبراء علم النفس وعلم الاجتماع ، بأنّ جانباً كبيراً من السلوك البشري يتكوّن من استجابة داخليّة لمؤثّرات خارجيّة ، مثل المال والجنس والجاه وغير ذلك .

وأنّ ردّ الفعل المتكوّن عند الإنسان لكلّ منها إنّما يتحدّد بطبيعة ملكته النفسيّة ، وقدرته على مجابهة ما يشعر بضرره له ، فلا ينقاد إليه ، وعلى هذا يتحدّد موقفه من هذا المؤثّر أو ذاك .

وممّا يذكر أن تربية الإنسان المتوازنة نفسيّاً وأخلاقــيّاً وسلوكيّاً لها أثرها الكبير على استقرار شخصيّته ، وسلامتها من الأمراض النفسيّة ، والعقد الاجتماعيّة والحالات العصبيّة الخطيرة وحالات القلق والخوف التي كثيراً ما تولّد لديه السلوك العدوانيّ ، فينشأ فرداً مجرماً خبيثاً مضرّاً فاسداً في المجتمع .

والشريعة الإسلامية ترى بأن من أهم الأمور المؤدية إلى طمانينة النفس وارتقاء مستوى وعي الإنسان وبالتالي إلى توازنه النفسي والمعيشة في ظل الحياة الطيبة هو ذكر الله ، وذلك لأن الذكر كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) : (الذكر نور العقل ، وحياة النفوس ، وجلاء الصدور) .

و لهذا ورد في الدعاء الذي علّمه الإمام عليّ (عليه السلام) لكميل بن زياد (رضوان الله عليه) : (اللهمّ اجعل لساني بذكرك لهجاً ، وقلبي بحبّك متيّما) .

وذلك ليبقى الإنسان المؤمن في ظل ذكره لله عزَّ وجلَّ متمتعاً بالصيانة التي تردعه عن ارتكاب ما يخل في توازنه النفسي أو اعتدال سلوكه .

(الفصل الثالث)

التربية العقليّة والعلميّة

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : (إنّ العلم حياة القلوب من الجهل ، وضياء الأبصار من الظلمة ، وقوّة الأبدان من الضعف) .

وذكر الإمام علي (عليه السلام) في إحدى مراسلاته :

(إنّ قيمة كلّ امرئ وقدره معرفته ، إنّ الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا) .

فالإنسان مخلوق عاقل مفكّر ، يستطيع أن يدرك الأشياء ويتعلّمها بوعي ، و يمكنه الاكتساب وتعلّم المعارف والعلوم بواسطة إدراكه لعالم الطبيعة عن طريق تأمّله في الكون وفيما خلق الله عز ّوجلّ .

وبالعلم والمعرفة تتحدّد شخصيّة الإنسان ، وتقوّم قيمته ، كما تقدّم في الحديث الذي مرّ ذكره عن الإمام علي (عليه السلام) .

وقد تصدّرت الأمم والمجتمعات مواقعها في التاريخ ، وسادت البشريّة وتزعّمت قيادتها عن طريق العلم والمعرفة ، اللذين جلبا لها القوّة والقدرة العسكرية .

وقد أراد الله عزَّ وجلَّ بالعقل الذي وهبه للإنسان أن يصل به إلى العلم والمعرفة والكمال ، لينتـــفع به وينفع غيره ، وأن يكون رحمة للناس كافة .

والله تبارك وتعالى مدح أهل العلم في قرآنه الكريم فقال مبيّناً فضلهم : قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ [الزمر : ٩] .

وقال تعالى أيضاً : الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ [الزمر : ١٨] .

كما حث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) المسلمين على طلب العلم والمعرفة ، فجعلها فريضة وواجباً على كلّ مسلم ومسلمة ، إذ قال : (أطلبوا العلم ولو في الصين .. فإنّ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم) .

من هنا نرى أنّ واجب الوالدين ضمن النشاط الأسريّ لهما و وظيفة المعلّم خلال أدائه لواجبه الشريف هو تعريف الأولاد بحياة العلماء وأصحاب المعرفة السابقين ، الذين أرسوا قواعد العلم والمعرفة والفضيلة ووسائل الحضارة البشريّة ، ونشروا العلم بمختلف صنوفه أينما حلّوا في هذه الدنيا .

وأن يتحدّثوا لهم عن تجاربهم وعلومهم وفضائلهم ، بأسلوب قصصيّ شيّق جميل يستميل رغبة الأولاد ويثير فيهم حب الاطّلاع على المجهول ، ويرسّخ في أذهانهم ونفوسهم حبّ العلم والمعرفة والاستطلاع والاستكشاف لنشر العلم والمعرفة بين الناس ، وتوضيح أثر وأهميّة العلم والعلماء للأولاد .

وأن يشجعونهم على زيارة المتاحف ، للتعرّف على ما كان عليه أجدادنا ، وكذلك زيارة المعارض الحديثة للاطّلاع على معروضاتها الصناعيّة والعلميّة .

وأن يغرسون في أنفسهم مطالعة الصحف والمجلات الإسلامية والكتب العلميّة النافعة ، فيكون ذلك سبباً في توسيع مداركهم وتنمية عقولهم .

ونرى أن الواجب الذي يفرضه عصرنا الذي نعيش فيه ، والتقدّم الهائل والسريع الذي حدث فيه ، أن يتم تعليم الأولاد بممارسة الطرق والأساليب والآلات والأجهزة الحديثة للتعلّم واكتساب المعرفة .

والتي منها شبكات (الإنترنت) التي تتفاضل على سائر وسائل التعليم بالسرعة الفائقة ، والدقّة المتناهية ، وشموليّتها لمختلف المواضيع العلميّة والأدبيّة والثقافيّة وغيرها .

(الفصل الرابع)

التربية الاجتماعيّة والخلقيّة

قال الله عزّ وجلّ مادحاً رسوله (صلّى الله عليه وآله) : وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ [آل عمران : ١٥٩] .

بل أبعد من هذا فإنّه سبحانه وتعالى يشهد ويقرّر لرسوله الأكرم (صلّى الله عليه وآله) : وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم : ٤] .

والرسول (صلّى الله عليه وآله) أيــّد ذلك بقوله : (أدّبني ربّي فأحسن تأديبي) وقال عن نفسه (صلّى الله عليه وآله) : (بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق) .

وبقدر ما يقترن كمال الإنسان وسعادته بحسن خلقه وأدبه ، يقترن انحطاطه وشقاؤه بسوء خلقه وغلظة تعامله ، وقد ورد عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول في هذا : (من ساء خُلقه عذب نفسه) .

فنستكشفّ من هذا الحديث النبويّ الشريف : أنّ هناك رابطة وعلاقة وطيدة بين تكوين الإنسان الداخليّ وبين السعادة أو الشقاء اللذين يكتنفانه .

فمثلاً نرى الإنسان الحليم الكاظم لغيظه ومحبّ الخير لغيره كما يحبّه لنفسه ، والذي يحمل في قلبه الحبّ والحنان والعطف والرأفة والشفقة على غيره ، يكون ذلك كلّه مبعثاً لسعادته وبهجته وسروره واطمئنانه .

وعلى العكس ، حيث نجد الإنسان الخبيث اللئيم الشرّير الأنانيّ الحقود على غيره يعاني من هذه العقد النفسيّة ، ويؤذي نفسه قبل أن يؤذي غيره ، وقد نسب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو ينصح المؤمن بالصبر وعدم التهوّر في مجابهة أمثال هؤلاء ، قوله :

إصبر على مضض الحسودِ **** فإنّ صبرك قاتلـــــه

كالنـــار تأكــل بعضها **** إن لم تجد ما تأكلــه

وبما أنّ الإنسان هو مخلوق مجبول على الحياة الاجتماعيّة ، لذا نجده يميل إلى الاجتماع بالآخرين ، ويحبّ أن يعيش ضمن الجماعة .

وقد جاءت الرسالات الإلهيّة المقدّسة كافة ــ والإسلاميّة خاصّة ــ لتبني المجتمع الإيمانيّ من خلال بناء أفراده ، لأن أفرادهم الذين يكوّنون المجتمع ، ويتبادلون مع الآخرين من أبناء مجتمعهم العادات والتقاليد والاعتقادات المختلفة .

ونرى الإسلام العزيز يحثّ المسلمين ويشجّعهم على تكوين الروابط الاجتماعيّة البنّاءة .

وقد جعل لها أساليب وممارسات لطيفة تؤدّي إلى الألفة والمحبّة بين أبناء المجتمع الإسلامي ، كآداب التحيّة والسلام والمصافحة بين المؤمنين ، وتبادل الزيارات ، وعيادة المرضى ، والمشاركة في تبادل التهاني في الأعياد والمناسبات الدينيّة والاجتماعيّة ، والاهتمام بالجار ، وتسلية أهل المصائب والشدائد ومشاركتهم في عزائهم لو مات منهم أحد ، وغيرها كثير .

ووضع لكلّ منها قواعد وأصولاً تدخل السرور على المسلمين ، وتكون لهم عوناً وتهوّن عليهم ما يصيبهم من شرّ وأذى .

و نجد الشريعة الإسلامية تؤكد حتّى في العبادات ، على الجانب الاجتماعيّ ، كأداء الصلاة جماعة حيث يؤكد استحبابها ، واجتماع المسلمين لأداء فريضة الحجّ .

كما أن الإسلام يسعي ألى تنظيم علاقة الفرد المسلم بأهل بيته وأقاربه وأصدقائه وجيرانه .

وقد أوصى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) المسلمين باحترام الجار ومؤازرته في حالات الفرح والحزن ، واعتباره من الأهل والأقارب ، وورد عنه أنه قال : (ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتّى ظننتُ أنّه سيورّثه) .

فعلى الوالدين والمربّي والمعلّم تشجيع الأولاد على ممارسة الأفعال والنشاطات التي توطّد العلاقة وتطيّبها بين هؤلاء الأولاد وسائر أبناء مجتمعهم .

ويعملون على مراقبتهم وتهذيب أسلوب كلّ ممارسة منها ، ومع من يلتقون ويلعبون ويتجوّلون ويدرسون ، كي لا يحتكّوا بأفراد تسوء تربيتهم فيأخذون منهم ويتعلّمون ما هو مضر وفاسد وقبيح .

ومرحلة الشباب ــ سيّما فترة المراهقة منها ــ تعتبر من أكثر مراحل حياة الإنسان شعوراً بالغرور والإعجاب بالنفس ، والاستخفاف بآراء الآخرين من الكبار .

وقد حذّر الله سبحانه وتعالى من ذلك عن لسان لقمان بقوله : وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [لقمان : ١٨] .

لأنّ الغرور يذهب ببعض الأفراد إلى المباهاة على والديهم ، والاستخفاف بهما ، واستخفاف آرائهما ،؛ لما يكونون عليه من وضع اجتماعيّ أو ثقافيّ غير الذي كان عليه أبواهم .

فيحذّرهم الجليل جلّت قدرته من ذلك : وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً [الإسراء : ٢٣ و ٢٤] .

بل يصل الغرور ببعض الشباب إلى حدّ الاستخفاف بالله سبحانه وتعالى وبالإيمان به وبكتبه وبرسله (عليهم السلام) .

فَيُنَبِّهُهُم الله عزَّ وجلَّ إلى عظيم خطر ذلك عليهم ، ليثوبوا إلى رشدهم ، ويعودوا إلى ملّتهم ، ويستغفرونه ويتوبون إليه تبارك وتعالى :

يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ [الانفطار : ٧ و ١٣] .

وإنّ الغرور الذي ينتاب بعض الشباب هو من المشاكل العويصة ، ذات الخطورة البالغة على الشابّ نفسه وعلى أهله ومجتمعه .

وهو من المشاكل التي إذا لم تدرك وتعالج وتوضع لها الحلول المناسبة ، سوف يحلّ بذلك المجتمع الداهية العظمى والبلاء الشديد .

لذا ينبغي على الآباء والمربّين توعية الشباب وتثقيفهم تربويّاً وأخلاقيّاً وعاطفيّاً ، ليجنّبوهم مهابط ومساقط الغرور والإعجاب بالنفس .

كما على البيت والمدرسة ووسائل الإعلام والقانون والمراكز أن يقوموا بتوعية الشباب وتفهيمهم بأنّ فعلهم هذا غير صحيح ، وله نتائج سيّئة ووخيمة لهم ولأهلهم وذويهم ومجتمعهم .

حتى نتمكن بذلك أن نحصّن شبابنا بدرع واق من مساوئ الممارسات ومفاسد الأخلاق ومنحرفات الأفكار ، ليكون شريحة طيبّة مثمرة نافعة ، تستفيد من الإمكانات المتاحة لديها ، وتعيش بعزّ وكرامة وسعادة ، وتجلب الخير والسعادة والفرح والسرور والبهجة على أهلهم وذويهم ومجتمعهم .

وبذلك يكسبون رضاء الله عزَّ وجلَّ ورضاء رسوله (صلّى الله عليه وآله) ، فيكسبون خير الدنيا وسعادة الآخرة .

(الفصل الخامس)

التربية الجنسيّة

لقد أولى إسلامنا العظيم مسألة الجنس والممارسات الجنسيّة أهمية كبرى ، واعتبرها من المسائل الأساسيّة في حياة الإنسان ، لما لها من أهميّة بالغة على سلامة الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه ، من النواحي الصحيّة والسلوكيّة والأدبيّة والأخلاقيّة .

لذلك فقد وضعت الشريعة الإسلاميّة القوانين والمعايير اللازمة لإشباع غريزة الإنسان الجنسيّة ، وتهذيبها وتنظيم أسلوب ممارستها .

فترى أنّ جملة من الأحكام الشرعيّة الإسلاميّة تناولت الجنس والحقوق الجنسيّة ، وأحكام الزواج الدائم ، والمؤقّت (المتعة) ، وحقوق كلّ من الزوجين ، وأحكام الطلاق وغيرها ، ممّا ينظم مسائل الحياة الجنسيّة والزوجيّة ، لتعالج الظروف والمشاكل التي يعيشها الفرد ويواجهها ، وكيفيّة ممارسته هذا الحق الإنسانيّ الذي منحه الله تبارك وتعالى ، لاستمرار الحياة البشريّة من جهة .

ومن جهة أخرى لحفظ النوع والنسل والذريّة ، وليبقى الإنسان في منجىً من الانحراف والانزلاق في هوّة المعاصي والذنوب ، والتلوّث والعدوى من مختلف الأمراض الجنسيّة والتناسليّة كالزهريّ والسفلس وغيرهما .

ومن الواجب على الوالدين إفهام أولادهما ــ بنات وبنين ــ فيما يتعلّق بمسألة الجنس والأمور الجنسية ، شيئاً فشيئاً ، كلّ حسب جنسه وما يواجهه مستقبلاً من حالات ترتبط بالأمور الجنسيّة .

وذلك كي يكونوا مستعدّين لها ، مثل ظاهرة الطمث (الحيض) عند البنات ، وما يصحبها من ظواهر تبدو على أجسادهنّ ، كبروز الثديين وظهور شعر العانة مثلاً .

وكذلك تعليمهنّ كيفيّة الاغتسال الواجب عن هذه الظاهرة الأنثويّة ، أمّا بالنسبة للأولاد (البنين) فمسألة الاحتلام والجنابة وكيفيّة غسلها ، على أن يتمّ ذلك بأسلوب مهذّب وسليم ، و بحدود الاحتشام والفضيلة .

وبهذا تتكوّن لدى أولادنا المعلومات الجنسيّة الكافية للاستعداد لمواجهتها حين ظهورها ، فيهذّب سلوكهم الجنسيّ ، ويتحدّد بحدود الطهارة من الدنس ، والالتزام والتقيّد بما يحفظهم من مختلف الأمراض الجنسيّة والخُلقيّة ، بما يجلب لهم العفّة والشرف والكرامة والنزاهة والسلامة .

ونقرأ ما ورد في القرآن الكريم عن أحكام الجنس وتلبية الغريزة الجنسيّة بالزواج الشرعيّ الحلال المباح الذي حلّله الله عزَّ وجلَّ وأباحه لكلا الجنسين قوله تعالى :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً [الروم : ٢١] .

ثم يتناول القران الكريم مسألة أخرى وحكم آخر يتعلّق بالتعفّف والنزاهة ، إن لم يجد الإنسان نكاحاً من كلا الجنسين : وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ [البقرة : ٢٣٦] .

هذا لمن وجدت من تمتّع نفسها له بالزواج المؤقّت ، أمّا من لم يجد ذلك ، فيأمره الله جلّ وعلا بقوله الكريم : وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ [النور : ٣٣] .

وقال الإمام علي (عليه السلام) ناصحاً الشباب : (يا معشر الشباب من استطاع منكم ألباه فليتزوّج ، ومن لم يستطع فليدمن الصوم ، فإنّ له رجاء ، فأمر الشباب بالنكاح مع الطول له ، فإنْ لم يجدوا إليه طولاً فليستعففوا عن الفجور بالصيام ، فإنّه يضعف الشهوة ، ويمنع الدواعي إلى النكاح) .

وقال (عليه السلام) أيضا عن فلسفة الغريزة الجنسيّة ، وما بني عليها من علامات التحام جنسيّ بين الزوجين ، تتحدّد على ضوئها نظرة كل منهما إلى الآخر :

(إعلم أنّ الله جعل الزوجة سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية ، كذلك كل واحد منكم يجب أن يحمد الله على صاحبه ، ويعلم أنّ ذلك نعمة منه عليه ، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها ، وإن كان حقّك عليها أغلظ ، وطاعتك لها ألزم فيما أحبّت وكرهت ، ما لم تكن معصية ، فإنّ لها حقّ الرحمة والمؤانسة وموضع السكون إليها ، قضاء للذّة التي لا بدّ من قضائها ، وفي ذلك عظيم ولا قوّة إلاّ بالله) .

(الفصل السادس)

التربية البدنيّة والجسمانيّة

أمرنا الله جلّ وعلا أن نهتمّ بوسائل القوّة والإعداد الجسديّ ، لمواجهة الأعداء ، بقوله :

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ [الأنفال : ٦٠] .

وقد حثّ الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) على بعض أنواع الرياضة البدنيّة ، حيث قال : (... وعلّموا أولادكم السباحة والرماية) .

ومن مظاهر الاهتمام بالتربية الرياضيّة والبدنيّة للرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) أنّه كان فتىً فارساً مقاتلاً ، وكان يشترك في ميادين سباق الفروسيّة ، فكان يكسب الجولات ويتفوّق في أغلب السباقات .

وكان (صلّى الله عليه وآله) يقيم السباقات بين أصحابه ، ويرصد لها جوائز للمتفوّقين ،تشجيعاً منه للفتوّة وللروح الرياضيّة .

وقد ورد عن الإمام عليّ (عليه السلام) : (إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أجرى الخيل وجعل سبقها أواقي من فضة) .

وبما أنّ الأبناء هم ثمرة العلاقة الزوجيّة ، وزينة الحياة الدنيا ، وبذرة الامتداد والبقاء النوعي للإنسان .

وبما أنّ الشباب هم أغلى شريحة في المجتمع ، وأثمن ما تملك الأمّة من طاقاتها البشريّة ، إذ هم في بداية شبابهم وقوّتهم ونشاطاتهم ، ويعتبرون القوّة الاحتياطيّة لإمداد المجتمع بعناصر حيويّة عاملة .

لذلك فإنّ الدولة ينبغي أن تبالغ في الاهتمام الكبير بهم وتسعى أن نضجهم لتستفيد منهم بحسب ما تخطّط لشكل الحكم فيها ، وترسيخه ، وللحرص على علوّ مكانتها ، وديمومتها وبقائها .

وإذا لم توجّه هذه الطاقات الشابّة فإنّها سوف تتحوّل إلى عناصر تخريب وهدم وفساد في المجتمع ، وينعكس ذلك على شخصيّة الشابّ نفسه انعكاساً سلبيّاً .

والشباب يمتازون في هذه المرحلة بالقوّة الجسديّة والنشاط والحيويّة ، لذا فإنّ تنمية روح الفتوّة والرياضة البدنيّة تعتبر مسألة لها أهميّتها الخاصّة ، لإنقاذهم من الميوعة والتحلّل .

وذلك عن طريق فتح نوادٍ رياضيّة وملاعب ومسابح وساحات للعب والسباق ، وإقامة المسابقات الرياضيّة ، وتسهيل الانتماء إليها والاشتراك فيها ، ورصد الجوائز للمتفّوقين منهم تشجيعاً لهم ولغيرهم من شباب الأمّة .

إنّ الإسلام العظيم قد اعتنى عناية فائقة بالرياضة والتربية البدنيّة ، لإعداد جيل قويّ .

وقد وجّه الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) السباق بنفسه ، كما تقدّم ، ورأينا كيف كان يشجّع على السباحة والفروسيّة .

فالرياضة في نظر الإسلام الحنيف هي من أهمّ وسائل الترفيه وتوفير القوّة الجسدية واللياقة البدنيّة ، التي دعا إليها القرآن الكريم .

لذا فعلى جيل الشباب أن يتمتع بالقوة والفتوّة ، والحصانة الفكريّة ، والتثقيف والوعي الإسلاميّ ، والتوجّه إلى الله تبارك وتعالى والإيمان به وبرسوله (صلّى الله عليه وآله) ذلك هو السلاح الأقوى والأمضى والأشدّ على الأعداء .

فنكون بذلك قد حصّنّا شبابنا من التسكّع والتطفّل والفساد والانحلال والميوعة والتخاذل .

فإننا نريد شبابنا أن يكونوا مؤمنين طيّبين وأن يكونوا أعضاء نافعين كما قال مولانا أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام) ، والمراد من الآباء والمعلّمين والمربّين المؤمنين الصالحين أن يكونوا لشبابنا خيرَ عونٍ وهادٍ في عمليّة تربيتهم ، وإعدادهم الإعداد الجيّد الذي يرضي الله عزَّ وجلَّ ، ويرضي رسوله وأوصياءه وخلفاءه الأئمة الإثني عشر (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) .

(الفصل السابع)

التربية الذوقيّة والجماليّة

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المبين : إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا [الكهف : ٧] .

وقال رسول الله (صلى الله عليه واله) : (إن الله جميل يحب الجمال ، ويحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده ، ويبغض البؤس والتباؤس) .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (التجمّل مروءة ظاهرة) .

إنّ الشريعة الإسلاميّة الغرّاء قد اعتنت بمسألة الجمال والتجمّل والذوق الجميل والحسّ الجميل عناية فائقة ، ولقد تحدّث القرآن الكريم عن الجمال والزينة والطيب ، وبيّن للإنسان ما في عالم الموجودات من جمال وزينة ولطافة وبداعة ، وأنّ له الحقّ في التجمّل والتطيّب والتزيّن والاستمتاع .

وكان الرسول الأكرم وخلفاؤه وأوصياؤه الأئمّة الإثنا عشر (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) المثل الرائع والقدوة اللطيفة في الأناقة والتجمّل وسمّو الذوق والتطيّب .

كما وإنّ التربية الذوقيّة والجماليّة والحسّية تربّي لدى الإنسان ــ سيّما الشباب ــ سمّو الذوق الجميل ، وتجسّد الحسّ السليم ، ولها تأثير عظيم في أنماط السلوك الإنسانيّ والروابط الاجتماعيّة .

وهي أيضاً تفتح الأفق النفسيّ والعقليّ والوجدانيّ لدى الإنسان ، وتشدّه إلى مبدع خلائقه ومصوّر جمالها في هذا الوجود ، الله عزَّ وجلَّ، الخالق المبدع المصوّر الخبير العليم .

فالجمال والتربية الجماليّة والخيال الخصب والذوق الجميل والحسّ الرقيق يعتبر طريقاً إلى معرفة الخالق جلّت قدرته؛ لأنّ ذلك دليل على عظمته سبحانه ، وعلى الارتباط العقليّ والوجدانيّ به تعالى .

فهذا الكون من سماء وأرض كلّ ما فيهما من تناسق وجمال وروعة ونظام وترتيب ما هو إلاّ لوحة فنيّة خلاّبة ، ومصدر إلهام فنّي وذوقي وجماليّ .

وقد أكّدت بحوث الفلاسفة الإسلاميّين القيم الإنسانيّة والمثل العليا (الحقّ والخير والجمال) ، وجعلتها هدفاً أسمى في هذا الوجود ، يسعى المرء لبلوغها ، وتحقيق مصاديقها ، وبناء الحياة على أساسها .

كما تناول علماء الكلام ــ علماء العقيدة الإسلاميّة ــ وعلماء أصول الفقه والمنطق مسألة الحسن والقبح في الأفعال والأشياء بالبحث والتدقيق العلميّ تفصيلاً ، فنفوا عن الله عزَّ وجلَّ القبح وفعل القبيح ، وأثبتوا له الحسن والفعل الحسن .

وأقاموا على هذه المبادئ قيماً وأسساً ومفاهيم تشريعيّة لتنظيم السلوك الفرديّ والعلاقات الاجتماعيّة والروابط الإنسانيّة ، فجعلوا الحسن والجمال والبداعة واللطف أساساً لبناء الحياة .

ومن نظرة الإسلام العظيم إلى الحسن والجمال يتعيّن على الآباء والمعلّمين والمربّين تأصيل وتعميق هذا الشعور الإنسانيّ اللطيف في نفس الأولاد منذ طفولتهم ، وتحبيب الجمال والتجمّل إليهم .

فإنّ تربيتهم على هذه القيم تعني تنمية الذوق اللطيف والحسّ الجماليّ لديهم ، وتعمل على تهذيب سلوكهم وأخلاقهم ، وإرهاف حسّهم الذوقيّ ، وتجذير قدرتهم على التمييز بين الشيء الحسن والآخر القبيح ، والتفاعل مع الجمال الماديّ والمعنويّ .

إن تعويد الإنسان منذ نعومة أظفاره على الأناقة والجمال والزينة ، والذوق الأدبي والأخلاقيّ ، ولمسه للعناية الأسريّة لهذه المظاهر اللطيفة ، ومشاهدته آثار الجمال على البيت ، من هندسة بنائه وترتيب حديقته ، وتنظيم أثاثه ، وترتيب الطعام على المائدة ، وكذلك استصحابه في التجوال والسفر ، وتمتّعه بمشاهدة الطبيعة الجميلة ، وانتباهه إلى مواطن الجمال والفتنة ، وكذلك غرس الأبوين في نفسه روح التأثر بالمظاهر الجماليّة ، كلّ هذه تخلق فيه حساً ذوقيّاً وجماليّاً لطيفاً .

كما وأنّ الإطراء والمدح على اهتمامه بمظهره وقيافته ، وعنايته بترتيب لوازمه وأدواته ، وتنظيم وتصفيف لعبه ، وكذلك تشجيعه على إنتاجاته الفنيّة المرهفة والذوقيّة مهما كانت بسيطة ، كلّ ذلك يعدّ من المحفّزات الضروريّة لتنمية الذوق الجميل والحسّ الفنّي والقدرة الإبداعيّة والأداء الفنيّ الجميل .

كما أنّ نقد وتقبيح مظاهر القبح ، وإشعاره بالنفور والتقزّز من المظاهر والمناظر القبيحة والفاقدة للجمال ، يكوّن لديه حسّاً نقديّاً وتمييزيّاً ، وذوقا سليماً .

ويركّز في نفسه الإقبال على الحسن والجمال من الفعل والقول والسلوك والأشياء ، والنفور من أشكال مظاهر القبح والفساد ومعانيهما .

وينبغي أن نربّي أولادنا على أنّ الجمال كما يتجسّد في الموضوعات الحسيّة كالمظهر في اللباس والعطر والحدائق وطراز بناء البيوت وهندسة الشوارع وتخطيط المدن ، واللوحات والواجهات الفنيّة .

كذلك فإنّ الجمال يتجسّد في القيم الأخلاقيّة العليا ، والمثل الأدبيّة السامية الرفيعة ، وكذا في الكلمة الطيبّة والمنطق الحسن والكلام المؤدبّ والأسلوب المهذّب والمعاملة الحسنة والمعاشرة الجميلة ، وفي فعل الخير واحترام حقوق الآخرين .

وذلك حتى ينشأوا ويكبروا على القيم الأخلاقيّة النبيلة ، والتحسّس بالجمال ، وتوظيفه في تهذيب السلوك وتسامي الذوق ورفعة الأدب والأخلاق الكريمة .

ولاهتمام الإسلام بالجمال ، وطبع شخصيّة الطفل بطابعه ، وتوفير العناصر الجماليّة في حياته ، تراه قد دعا الناس إلى انتقاء المرضعة الحسنة الوضيئة ، وكرّه أن ترضعهم المرأة القبيحة .

فلو أعددنا شبابنا الإعداد الفنيّ والذوقيّ والجماليّ الحسن ، فإنّنا في الحقيقة نكون قد أعددنا مجتمعاً إسلاميّاً ذوّاقاً سامياً مرتّباً منظّماً قويّاً ، وذلك من مظاهر القدرة والمنعة ومن عناصر الحضارة ومعالم رقيّها .

(الفصل الثامن)

التربية الوطنيّة والقياديّة

روي عن النبي (صلّى الله عليه وأله) : (حبّ الوطن من الإيمان) .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال : (عُمّرت البلدان بحبّ الأوطان) .

يتبيّن من هذين القولين و غيرهما مما قيل في الوطن وفي حبّه والتضحية من أجل عزّته وكرامته ، أنّ الإسلام العظيم يولي اهتماماً كبيراً وأساسيّاً للوطن وحبّه والدفاع عنه ، إذ فيه عزّة الفرد المسلم والمجتمع الإسلاميّ ، وبالتالي الدين الإسلاميّ نفسه .

وإنّ التربية الوطنيّة موضوع أساسيّ في تنشئة الشباب وإعدادهم إعداداً صحيحاً سليماً ، يتناسب والدور الذي سيساهمون فيه لبناء مجد الأمّة وعزّتها وكرامتها وسؤددها في المستقبل الزاهر بعونه جلّ وعلا .

في الحقيقة إنّ كلّ أمّة من أمم الأرض إذا أرادت أن تحقّق لنفسها السيادة والقوّة والغلبة ، وأن تجعل ميزان القوى في العالم لصالحها ، فلابدّ لها من الالتزام بأسس معيّنة في تربية مواطنيها ، كيما ينشأوا مخلصين لأمّتهم ، مضحّين في سبيل أهدافها ومثلها وقيمها .

ولو تصفّحنا تاريخ الأمم السحيق لوجدنا حبّ الوطن والدفاع عنه كان من البالغة الأهميّة عندهم .

وممّا لا ريب فيه أنّ الأمّة الإسلاميّة ، منذ عهد الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) حينما بدأت في سيادة العالم سياسيّاً وعسكريّاً وحضاريّاً ، كانت واحدة من نوادر الأمم التي تمكنّت من تربية أجيالها تربية وطنيّة رصينة صالحة ، ممّا مكّن المسلمين لأن يتحكّموا فترة طويلة وقروناً متطاولة بالميزان الدولي ، وجعله يميل إلى كفّتهم ويصّب في صالحهم ، بل وفي صالح البشريّة جميعاً ، لما في النظام الإسلاميّ من قوانين وأنظمّة وقواعد إنسانيّة شريفة تخدم الصالح العام .

وهذا ما كان سبب تقدّمها في العالم وسيطرتها على بقعة كبيرة منه .

إذ وصلت جيوشها شرقاً إلى بلاد الصين وأخضعوها لسيطرتهم ، وغرباً إلى بلاد المغرب والمحيط الأطلسي ، وشمالاً إلى أواسط روسيا ودول أوربا كآسيا الصغرى واليوغسلاف .

حتّى أنها عبرت أسبانيا والبرتغال وأصبحت على مشارف بلاد الإفرنج (فرنسا) ، وجنوباً إلى المحيط الهادي والبحر العربي وأفريقيا .

فكان سبب ذلك الفتح الهائل هو كونها من الأمم الفكريّة المتميّزة بروحيّة عقيدتها وسماويّة تشريعها وأخلاقيّة رسالتها .

فطبيعي أن هكذا أمّة تمتلك كل عناصر القوّة والغلبة أن تكون كذلك ، وحينما يغمر روّادها مواطنيهم بالحبّ والعطف والرعاية والاهتمام والألفة والاحترام .

ففي ذلك تحقيق رضا الله عزَّ وجلَّ ، ونيل الهدف السامي الذي من أجله بعث الإسلام لهداية الناس جميعاً إلى الخير والتوفيق والسعادة .

ويجسّد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا المعنى في رسالته إلى ولده الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) مؤكّداً في قوله :

(يا بُنيّ ، إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحبّ أن تظلم ، وأحسن كما تحبّ أن يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك) .

هذه هي المواطنة الصالحة التي يحدّد إطارها الإمام عليّ (عليه السلام) ويحدّد معيارها ، حين يحثّ المسلمين على السعي إلى الإصلاح والوقوف بوجه الظلم والانحراف ، فيقول :

(إنّ من رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يدعى إليه ، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ، ومن أنكره بلسانه فقد أُجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، وقام على الطريق ، ونوّر في قلبه اليقين) .

وبقدر ما تجب على الإنسان المسلم المواطنة الصالحة ، فقد تجب عليه أيضاً الدفاع عن حياض دينه الإسلاميّ الحنيف ، والمحافظة على ثغور وطنه الإسلامي العزيزمع أنّ القتال والحرب دمار للإنسان وإزهاق للأرواح واستهلاك للطاقات البشريّة وهدر للقدرات الإنسانيّة .

إلاّ أنّه إذا وصلت الحالة إلى غزو الأوطان والاعتداء على أهلها وإخضاعهم وإذلالهم ، توجّب حين ذاك أن يهبّ أهلها للدفاع عن حياضها وعن كرامتهم وعزّتهم ومقدّساتهم .

و في الحقيقة شتّان بين جيلين من الشباب ، جيل يعيش على الحرب والدماء والخراب والدمار ، ويتّخذها وسيلة للظلم والاستغلال والعدوان واستعباد المستضعفين ، ليشبع نهم نفسه الشريرة ، ويبسط غطرسته وتجبّره عليهم .

وجيل يعيش نظريّة الحبّ والسلام ، والأخوّة والمساواة والعدالة ، ويعتبر الحرب أداة لردّ العدوان ، ووسيلة للدفاع عن الحقّ .

والحمد لله رب العالمين